

في نور محمد فاطمة الزهراء

لكثرتهم الكاثرة اللهود، وقطّ الهام[1297]، وفرى الأجسام. وحين تستبطن سلوكه فيهم تجده موكلًا بالآجال... وحين تراه بأعينهم فإنّ صنو عزرائيل. وفي كلّ معمعة تتعثّر دون غايتها الأقران، أو تنذر بغير ما تهفو إليه الآمال، يقدرّهم الرسول ليقود الصفوف... فإذا هو صاحب الحتوف! وإذا الغلبة له لزام! وإذا القضاء على الكائدين للإسلام صلاة وقيام. وهل كان شيء أحبّ إلى المؤمنين من اجتباء النبي عليًّا كلّما حزب حازب، وبدرت محنة تهم أن تنوش الدين؟ أو كان أحد أنعم بالآل من الزهراء بهذا الاجتباء؟ بل كانت دائمًا حريّة بأن تتوقّع دائمًا أن يكون زوجها مناط الاختيار. ذلك لأنّ الأخلق في الأشباه أن يدير الرحي حتّى تطحن أولياء الشيطان إن كان ثمّة له في ساحات الصيال أشباه. ولأنّ اختصاص الرسول إيّاه - من بين تلامذته وأصحابه - لمثل تلك المدلهمّات[1298]، هو أدقّ اختصاص، وألزم انتقاء، لأنّ بوحى السماء، فما ينطق عليه الصلاة والسلام عن هوى أو ميل خاصّ، وما كانت له الخيرة من دون الله، وما يقول أو يفعل إلّا بقضاء. وقد وافقت الحوادث دقّة الاختيار. وتعال فانظره - عقب الخندق - وأهل الشرك وحلفاؤه يفرّون مذعورين أمام جنود ربك - من رياح عواصف، ورعود قواصف، وأمطار جائحة كطوفان نوح - يأمر مؤذّن نه فينادي في المسلمين: «من كان سامعًا مطيعًا، فلا يصلين العصر إلّا في بني قريظة»[1299].